إشكالية أدب الأطفال بين الكتاب الورقي والكتاب الرقمي

عائشة علي الغيص *

تمهيد:

الكتاب خير جليس، وأفضل أنيس، وهو نِعْمَ الذخر والعُدَّة، ونِعْمَ المؤنس ساعة الوحدة.

ما من شَكٍّ في أن التكنولوچيا الرقميَّة قد اجتاحت كل تفاصيل عالمنا الواقعي، وقد سهَّلت الكثير من الأمور في يومياتنا. وكما اجتاحت عالم الراشدين؛ كذلك فعلت في عالم الأطفال والمراهقين.

ومع تطوُّر التقنيات ظهرت ملامح ثورة جديدة في عالم القراءة خصوصًا بعد ظهور الأجهزة اللوحية ذوات الشاشة الكبيرة، زِدْ على ذلك تطور بيئة الإنترنت والمحتوى العالمي والمحلي، حيث أصبحت بالمتوافر على الدوام العديد والعديد من الكتب الحديثة والقديمة، وهذا يؤثر بشكل كبير في تحديد عملية القراءة الأنسب للشخص.

ففي ظل الثورة الرقمية التي يشهدها العالم في هذا القرن، تحوَّل الكتاب من شكله الورقي إلى شكله الإلكتروني، وانتشر انتشارًا واسعًا بين القرَّاء والكُتَّاب؛ وخاصةً مع ابتكار شاشات لهذه الكتب تُضاهي الصفحات الورقية للكتب التقليدية.

فصار بالإمكان قراءة محتويات الكتاب على أجهزة الحاسب المكتبية، والمحمولة، أو الأجهزة الكَفِّية، أو باستخدام أجهزة مخصصة لذلك، مثل: "آي فون"، و"آي باد"، و"أندرويد"، وأجهزة "ماك".

ولا شك أن لكلا النوعين من الكتاب الورقي والإلكتروني فائدته، ودوره ومزاياه.

في عصر باتت فيه التكنولوچيا الرقمية تلعب دورًا أساسيًا في حياة الأطفال الصغار، يبرز السؤال حول أيهما أكثر فائدةً لهم؛ خاصةً عندما يشاركهم الآباء القراءة: الكتاب الورقي، أم الكتاب الإلكتروني؟

* باحثة – الإمارات.

تنطلق أهمية هذه الورقة البحثية من العناية بتلك الثروة البشرية التي هي أمل الحاضر وعُدَّة المستقبل، فتحاول تسليط الضوء على قضية جدلية مُثارَة في أوساط النشر الأدبي الموجَّه إلى الطفل العربي، مفادُها (العلاقة بين الكتاب الورقي والكتاب الرقمي لأدب الأطفال أهي علاقة تنافُس أم تكامُل؟).

فهل يمكن الكتاب الإلكتروني أن يحلَّ مكان الكتاب الورقي وأيُّهما أفضل للطفل؟

كثيرًا ما نقع في الحيرة على المستوى الذاتي وعلى مستوى الاختيار لأطفالنا، في المفاضلة ما بين القراءة الورقية أو الإلكترونية، ولا نستطيع تحديد النوع المناسب لأطفالنا؛

- هل الكتاب الورقي؟ أو من خلال وسيط إلكتروني؟
- هل سيتمكن الكتاب الرقمي، من لفت انتباه الطفل واجتذابه إلى عالمٍ آخَر ينافس بشكلٍ كبيرٍ العالم الورقي؟

القارئ لعملية تطوُّر الكتابة أو الوسيط الكتابي سيجد أن الإنسان قديمًا كانت تتجلى متعته في القراءة من خلال الأحجار، ليتطور الأمر بعد ذلك على ورق البردي، فتأخذ الأمور شكلًا أسرع في التطور لتصل إلى الورق، وفي كُلِّ مرةٍ كان يواجه المعتادين على وسيط معين إشكاليةُ في التغيير إلى وسيط جديد.

وفي الآونة الأخيرة تمكَّن الكتاب الرقمي، أخيرًا، من لفت انتباه الطفل واجتذابه إلى عالمٍ آخرَ ينافس بشكلٍ كبيرٍ العالم الذي اعتاده والذي بات يملُّه، على اعتبار أن بعض الكتب الورقية لا تزال محافظةً على طابَعها التقليدي القديم دون أن يطالها أي تنويع من ناحية أفكار الكتب والنصوص المكتوبة وطرق إخراجها أو حتى طباعتها؛ لذلك هناك تراجع ملحوظ في مستوى القراءة لدى الأطفال في الكتب الورقية.

ومن هنا نستطيع أن نعقد مقارنةً سريعة بين الكتاب الورقي والإلكتروني:

سمات كتاب إلكتروني

- يتميز الكتاب الإلكتروني بأنه لا يحتوي على ملفَّات نَصِّية فقط، وإنما على تسجيلات صوتية وڤيديو، وكذلك إمكانية الربط المباشر بالإنترنت.
- يتميز الكتاب الإلكتروني بإمكانية البحث الآليّ ضمن الكتاب بحيث يمكن العثور على كل ما يتعلق بموضوع معين أو فكرة معينة داخل الكتاب؛ كذلك يوفر الانتقالات السريعة بين

الموضوعات المختلفة عن طريق استخدام الوصلات والروابط التي قد تنقلك إلى موضع آخر داخل الكتاب أو على الإنترنت.

- يمكن أن تكون الأجهزة الإلكترونية المستخدمة في الكتب الإلكترونية ميزة إضافية. تأتي الكتب الإلكترونية مع مرونة الخط؛ ما يجعل القراءة أسهل. أيضًا، يمكنك تخزين آلاف الكتب والمجلات الإلكترونية على جهاز واحد.
- عادةً ما تكون الكتب الإلكترونية أقل تكلفةً من نظيراتها الورقية.
- تتميز الكتب الإلكترونية بمرونة الخط؛ ما يجعل القراءة أسهل ويمكن للقراء الإلكترونيين تخزين آلاف الكتب الإلكترونية على جهاز واحد.
- من الصعب حمل الكتب الورقية؛ خاصة الكتب ذات الأغلفة الصلبة. إذا كنت قارئًا متعطشًا وكنت ذاهبًا في رحلة، فستحتاج إلى حَزْم الكتب في أمتعتك بينما يسهُل عليك استخدام قارئ إلكتروني أو جهاز «iPad».
- لا يختلف الكتاب الإلكتروني عن الكتاب الورقي من حيث الطباعة وترقيم الصفحات، بل يتمتع بالعديد من المميِّزات الإيجابية الداعمة لعملية التعلم والتعليم. فالكتاب الإلكتروني المدرسي منبثقٌ من منهج المدرسة، وبالتالي فإنه مرافق لعملية التعلُّم.
- ويتميز استخدام النصوص الرقمية ببعض المِيِّزات في مواقف بعينها، كأن يبحث الشخص عن معلومة في زمن محدد، فسرعة إنجاز ذلك من خلال استخدام الإنترنت يفوق البحث عنها من خلال المكتبات العادية.

وفي مقابل ذلك، فإن للكتب الورقية مزايا على الكتب الإلكترونية، ومن أهمها:

- قراءة الكتاب الورقي أكثر راحةً بشكلٍ عام، ففي قراءة الكتاب الورقي متعة لا يشعر بها مَن يقرأ الكتاب الإلكتروني.
- الكتاب الورقي يبني علاقة حميمة، وصِلَة وثيقة، بين القارئ والكتاب، وهذا ما لا يوفره الكتاب الإلكتروني!!.
- الكتاب الورقي لا يتوقف على توافر الكهرباء أو أجهزة الحاسب، أو الاتصال بالإنترنت.
- الكتاب الورقي أكثر راحةً للعين من الإلكتروني، فالقراءة لساعاتٍ طويلةٍ من جهازٍ إلكترونيّ تسبب إجهادًا للعين.

ولسنا هنا في صدد تفضيل أحدهما على الآخر، فلكل منهما مزاياه وعيوبه، وإن كان الكتاب الإلكتروني قد فرض نفسه في الفترة الأخيرة بقوة على الساحة – وأصبح هناك العديد من المواقع الإلكترونية التي تعمل بمؤازرة الشركات المنتجة للكتب المدرسية، تؤمِّن تطبيق الفروض والمشاريع التربوية على مواقعها الإلكترونية. ويستطيع التلميذ الولوج إلى الموقع والتسجيل به..

والأهم من ذلك أن ندرك: أن الطباعة الورقية، أو التخزين الإلكتروني، ما هو إلا وسيلةٌ لتسهيل القراءة على الطالب والباحث والقارئ، فينبغي ألَّا تشغلنا الوسيلة عن الغاية، والتي هي: القراءة.

نقف حائرين في اختياراتنا بين أن نغرس في أطفال هذا الجيل قيمة القراءة من الكتاب الورقي أو السعي نحو الإلكتروني، وما للاثنين من مزايا وعيوب. فالكتابُ الورقيُّ لا غنى عنه كما أنه لا ينبغي أن يُترَك بالكلية، أما الإلكتروني فهو من تحدِّيات العصر التي لا ينبغي أن نعيش في معزلٍ عمَّا يطرأ عليه من تقنيَّات حديثة ومُتطوِّرة.

وبمطالعةٍ سريعةٍ لواقعنا نجد إقبال الطفل على الكتاب الإلكتروني بشكلٍ لافتٍ للنظر، وكما كل منتجات التكنولوچيا الحديثة، لها إيجابياتها وسلبياتها أيضًا للكتاب الإلكتروني حسناته وسيئاته، حيث يقلق بعض الخبراء من أن يسبِّب اللوح الإلكتروني بابتعاد الطفل عن العالم الواقعي. فهو إذا تعرف فقط إلى الكتاب الإلكتروني، قد يخسر هذا الطفل تجربة اللمس بالإمساكِ بكتابٍ تقليدي، وتقليب صفحاته، أو مشاركة أصدقائه كتابه المفضَّل، فالتكنولوچيا صندوق جميل ولكنها تبقى صندوقًا. وأيضًا تبدو مخاوفهم من الطريقة التي يستعمل فيها الطفل الكتاب الإلكتروني والمدة الزمنية التي يقضيها في المشاهدة والاطِّلاع، والمحتوى الذي يُقبل على قراءته ومطالعته، ونوعيته، والأهم ألَّا يتحوَّل الكتاب جليسًا للطفل، يعوِّضه غيابَ والديه، بل يجب أن يشاركاه في قراءته.

هذا، وأجرى طبيب الدماغ الأمريكي هوارد غاردنر جراحةً في المخ واكتشف أن دماغ الإنسان مُؤلَّف من ثماني مناطق، تُعرف بمناطق الذكاء. ووفق هذه الدراسة، فإن من الضروري تطوير هذه المناطق الثماني وتعزيز تفاعلها مع بعضها بعضًا حتى يتمكَّن التلميذ من تطوير استيعابه لكل المواد الدراسية. وتعزيز مناطق الذكاء يبدأ منذ الطفولة المبكرة، ويكون ذلك بتنويع النشاطات التي يقوم بها الطفل.

ويساعد توفير الألعاب بمختلف أنواعها على تنمية كل مناطق القدرات الذكائية. وبما أننا

في عصر التكنولوچيا، فإن الكتاب الإلكتروني ذا النوعية الجيدة والمفيد على الصعيد التربوي قد يساعد في تعزيز إحدى مناطق الذكاء عند الطفل وبلورتها، شرطَ ألَّا يكون الوسيلة الترفيهية الوحيدة في متناول الطفل.

كما نجد الطفل يميل إلى تفضيل الاعتماد على التكنولوچيا وتوظيفها في الحياة بما يخدم ويلبي حاجاتها، منها القراءة الإلكترونية التي تتيح له تصفُّح الكتاب أو المجلة والتفاعل معهما، من خلال صيغ Epub التي تُعرض بها الكتب والخصائص الفنية والتقنية في العرض، منها التحكم في حجم ونوعية الخط المستخدم في الكتاب مع المحافظة على حدود الكتابة وسلاسة تقليب الصفحات والتنقُّل بينها، واختيار العناوين والانتقال إلى فصول الكتاب بالنقر على الفهرس مباشرة؛ خصوصًا أن التطبيق المستخدم في عرض الكتاب لا يقدم صورة للصفحة إنما الورقة الحقيقية للكتاب.

فالكتاب الإلكتروني الذي قد تكون به عوامل جذب بصرية وسمعية للطفل تحثُّه أكثر على القراءة وتجعله مشاركًا في عملية وضع القصة، عن طريق الرسوم التي تتكلَّفُه وتنطق بالحوار ليشارك بحواسِّه كلها في عملية القراءة، لكنه في الوقت نفسه يحمل خطرًا كامنًا وهو عدم وجود الرقابة الكافية للوثوق به أن يكون في يد أطفالنا في العالم العربي..

فما الإرشاداتُ التي يجدُر بالأم أو الأب اتباعها أثناء مشاركة الطفل في قراءة الكتاب الإلكتروني؟

في البداية، يجدر بالأهل أن يدركوا أن قراءة كتاب إلكتروني جيد المضمون والإخراج يمكن أن يكون نشاطًا محفزًا للطفل. ولكن الأهم هو أن يتذكَّر الأهل تمضية الوقت مع الطفل ومشاركته في قراءة الكتاب، وإجراء حوار حول القصة. فهذا يطوِّر لغة الطفل ومَلَكَتَي القراءة والكتابة

ولا تزال المسألة غامضةً بخصوص ما إذا كانت النتيجة تميل للكتاب الإلكتروني، ولكن في ظل هذا الانفجار المعرفي وثورة تكنولوچيا المعلومات حتمًا ستميل الكِفَّة نحو كتاب الطفل الإلكتروني، والأهم من ذلك أن نركز أنظارنا نحو الهدف والغاية وهو القراءة، فالمهم من الإنسان أن يحرص على القراءة في الكتب النافعة والمفيدة، سواء أكانت مطبوعةً طباعةً ورقيةً أم مخزَّنةً تخزينًا رقميًا.

ومع ذلك، يُنصح ألَّا يكون الكتاب الإلكتروني الخيار الوحيد بين يدَي الطفل، إذ لا يمكن تعزيز المعرفة عنده، وتطويرها من خلال وسيلة واحدة، بل يجب أن يكون متاحًا له الكتاب

المطبوع، لا سيَّما إذا كان يروي قصة؛ لذا على الوالدين دراسة ومراقبة ما يفعله الطفل ومحاولة تقييم ما يقرؤه الطفل هل هو صالح للاستخدام أم لا، لكننا إحقاقًا للحق لا يمكننا أيضًا إغفال مميزاته مثل مساعدته للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في إدراك العالم المحيط بهم بصورة أسهل من الكتاب الورقي، الذي قد يحتاج المدرس لشرح ما به أمَّا الكتاب الإلكتروني فقد يكون أنفَع لهم؛ لأنه مُصمَّم بتقنيات تساعدهم ومناسبة لهم كما أنه مناسب كمصدر دراسي.

وقد استنتج بعض الخبراء الذين أجروا دراسات أنَّ الأجهزة اللوحية والأجهزة المحمولة هي تركيبات بارزة في الحياة الأسرية الحديثة، لكن يتعيّن اختيار التطبيقات الأكثر توعويةً وتعليميةً للأطفال مع الالتزام بالرسوم التي تتشابه مع تلك الموجودة في الكتب.

وأضافوا أنه يجب على الآباء أيضًا المشاركة في عرض الوسائط الرقمية مع أطفالهم وطرح الأسئلة والتحدث لمساعدة أطفالهم على الانخراط والتعلُّم.

وأخيرًا لا بد من التعاون دائمًا بين الإلكتروني والورقي في القراءة والكتابة ولا يجوز الطلاق بينهما، بل يمكن أن يجري التبادل بينهما بشكلٍ إيجابي.. المهم أن تعود أُمَّة "اقرأ" للقراءة.

فالعلاقة بين كلا الكتابين: الورقي والإلكتروني علاقة تكامل، لا علاقة تنافس، فالكتاب الورقي والإلكتروني يُكمّـل بعضهما بعضًا، فلكُلٍّ واحدٍ منهما ميزاته وإيجابياته.

حيث أصبح الإنترنت والكمبيوتر سَاعِدَ الطفل الأيمن وبالتالي ساعدًا للأسرة أيضًا في تربية أطفالها، لكن البعض ينظر لكل ما هو جديد نظرة ريبة وخوف لا محلَّ له من الإعراب، فليس كل جديد مُضرًا وعلينا التجريب أولًا ثم الحكم.

(العلاقة بين الكتاب الورقي والكتاب الرقمي لأدب الأطفال أهي علاقة تنافس أم تكامل؟).

لذا؛ نستطيع القول إن الكتاب الورقي موجود ولا غنى عنه والكتاب الإلكتروني موجود أيضًا كمُكمِّل له وليس منافسًا ولا غنى عن وجود الاثنين معًا مثل الألعاب الإلكترونية، التي لم تَنْفِ دور الألعاب اليدوية للطفل التي يستخدمها بيده يشعر بها وتشعر به مثل العروسة أو الدبدوب..

ولذلك فالواجب علينا أن نستثمر هذه التقنية الحديثة للقراءة المفيدة، فهي تعطي المجال للقراءة في جميع الأوقات والحالات.

المراجع:

- رانيا مسعود، تحديات القراءة من الورقي والإلكتروني، الأحد 20/ 2019/01.
- زياد منى، النشر الإلكتروني ومستقبل الكتاب، الجزيرة نت .www.aljazeera.net فبراير 2016.
- سعيد محمد رحيم،"الكتاب الإلكتروني والمكتبة الإلكترونية ومجتمع المعرفة تحديات عصر العولمة وما بعد الحداثة"، الحوار المتمدن، www.m.ahewar.org
- صلاح جرار، الكتاب الإلكتروني والكتاب الورقي، وزارة الثقافة،المملكة الأردنية الهاشمية، 2014..www culture.gov، دجنبر 2015.
- فاطمة لمحرحر، الكتاب الرقمي والكتاب الورقي المميزات والرهانات. باحثة في الدراسات السياسية والعلاقات الدولية المعاصرة، المركز الديمقراطي العربي، 2017.
- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2006.
- صحيفة البيان، مقال منشور: كتاب الطفل الإلكتروني بين النقلة النوعية والبدعة الزائفة التاريخ: 06 فبراير 2007.
- أدب الطفل وتحديات المستقبل، مجلة الفيصل، نوفمبر 1, 2021.
- الكتاب المطبوع والكتاب الإلكتروني فبراير www.librarianlife86.blogspot.com، يناير 2016.
- أيهما أفضل: القراءة الورقية أم القراءة الإلكترونية؟ مجلة سيدتي 19- ديسمبر 2020.
- دراسة: القراءة للأطفال من الكتب المطبوعة أفضل من الإلكترونية، مقال منشور في الشبكة العنكبوتية الإنترنت 2020.
- الأدب الورقي والأدب الرقمي – مجلة الكلمة، العدد 111، يوليو 2016م.
- الكتاب الإلكتروني ومستقبل الكتاب الورقي، البوابة العربية للأخبار التقنية، 14 ديسمبر 2010 .www aitnews.com، ديسمبر 2015.